

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَمَرُوا بِالْقِتَالِ مُطْلَقًا مِنْ قَاتِلِهِمْ وَمَنْ لَمْ يَقَاتِلْهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ؛ لِأَجْلِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَذَلِكَ لَمَا صَارَتْ لَهُمْ قُوَّةٌ وَدَوْلَةٌ، وَعَظُمَتْ شَوْكَتُهُمْ، فَأَمَرَهُمْ حِينَئِذٍ بِالْجِهَادِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَنَبِّئُوهُمْ يَعِذُّهُمْ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ صُدُورِ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤].

فَأَمَرُوا بِقِتَالِ الْكُفَّارِ حَتَّى يُسَلِّمُوا؛ لِأَنَّ هَذَا هُوَ مَا خُلِقُوا مِنْ أَجْلِهِ، وَهُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَرَزَقَهُمْ فَهُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تُصَرَفَ الْعِبَادَةُ لِغَيْرِهِ، وَهَذَا هُوَ غَرَضُ الْجِهَادِ -إِعْلَاءُ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَإِفْرَادُهُ سَبْحَانَهُ بِالْعِبَادَةِ وَلِذَلِكَ لَوْ تَابُوا وَأَمَّنُوا مَا قُوتِلُوا، وَلَوْ تَرَكَ الْكُفَّارُ مَنْ غَيْرِ قِتَالِ لَاسْتِطَالَتْ شُرُهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَرْضُونَ أَنْ يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُسْلِمٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ رَضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الْمُتَحَنَّة: ٢].

فَلَوْ لَمْ يَقَاتِلُوا لَاسْتَطَالُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالتَّقْتِيلِ وَالتَّشْرِيدِ

والتخريب والأذى كما هو مشاهد وظاهر الآن لما عطل الجهاد، وتوقف عنهم، تفرغوا هم لذلك؛ فشرعوا في إرساليات التنصير وبسط النفوذ، وغير ذلك.

ولما سئل النبي ﷺ عن الرجل يقاتل حمية، ويقا تل شجاعة، ويقا تل من أجل المغنم، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»^(١).

أما من يقاتل لغير ذلك: فليس في سبيل الله، والذي يقاتل في سبيل الله إن قُتل فهو شهيد، وإن لم يقتل فهو مأجور ومثاب، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [٢٢٩] فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَكَسْتَشِيرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠].

فإذا لم يُقتلوا عادوا بأجر وغنيمة، وعز وشرف في الدنيا والآخرة.

والجهاد في سبيل الله - كما فصله العلماء - على قسمين:

القسم الأول: فرض عين على كل مسلم يستطيع الجهاد، وذلك في

ثلاث حالات:

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢٣٢٩/٤ برقم ٧٤٥٨) كتاب التوحيد، باب: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾. وورد باللفاظ برقم (١٢٣، ٢٨١٠، ٣١٢٦) من الصحيح. من حديث أبي موسى ﷺ.

الأولى: قتال الدّفع عن البلد إذا حاصر عدوهم من الكفار، فإنّهم يقاتلون، ويَجِب على كل من يستطيع الجهاد أن يقاتل للدفاع عن حرّمات المسلمين الذين في البلد.

الحالة الثانية: إذا استنفره الإمام للجهاد، وجب عليه الامتثال، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَالُكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْخُذْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا»^(١).

الحالة الثالثة: إذا حضر القتال وفيه قوة؛ فإنه لا يجوز له أن يفر من الزحف؛ بل يجب عليه أن يقاتل، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ۝١٥ وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَكَءٌ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥-١٦].

فالفرار من الزحف كبيرة من كبائر الذنوب، ففي هذه الأحوال الثلاث يكون الجهاد على الأعيان -أي: فرض عين على كل مسلم مستطيع-.

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه (٩٤٦/٢) برقم (٣٠٧٧) كتاب الجهاد والسير، باب: لا هجرة بعد الفتح، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

القسم الثاني: فرض كفاية، ويُسمى جهاد الطلب، وهو أن تغزو الكفار في بلادهم، وهذا فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين، وبقي في حقهم سنة من أفضل القربات، والله سبحانه أوجب على المسلمين إذا كان عندهم قوة أن يغزوا الكفار لإعلاء كلمة الله، وإزالة الشرك والوثنية، قال تعالى: ﴿وَقَنِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونََ الَّذِينَ كُلُّهُمُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

فيجب على المسلمين إزالة الكفر والشرك من الأرض، وإرجاع الناس إلى عبادة ربهم التي خلَقوا من أجلها.

ولكن قبل القتال: لابد من دعوة الكفار إلى الدخول في الإسلام، فإن أبوا، ولم يقبلوا الدعوة فإنه يجب غزوهم وقتالهم؛ ولهذا فإن النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة وأوجب الله عليه القتال - قتال الطلب - صار يرسل الرؤساء والملوك فيكتب لهم ويدعوهم إلى الإسلام، كما كتب لكسرى وكتب لقيصر، وكتب لغيرهم من ملوك الكفرة يدعوهم إلى الإسلام^(١)؛ لأن رسالته ﷺ عامة للبشرية، فيجب على كل البشر وكل الجن والإنس، أن يتبعوا هذا الرسول ﷺ.

فيدعوهم إلى الله أولاً، فإن استجابوا وإلا فإنه يقاتلهم؛ لأنها

(١) انظر مثلاً: صحيح البخاري (٢/ ٩٠٤-٩٠٥، برقم ٢٩٣٨-٢٩٤٠) كتاب الجهاد والسير، باب: دعوة اليهود والنصارى، وما يقاتلون عليه، وما كتب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، والدعوة قبل القتال، وباب: دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة، وألاً يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله. من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

انقطعت معذرتهم، وقامت عليهم الحجة، وكذلك كان ﷺ إذا أمر أميراً على جيش، أو سرية يوصيه في خاصة نفسه بتقوى الله، ثم يوصيه ومن معه من المسلمين، ويقول له: «إذا حاصرت عدوك من المشركين فادعهم إلى الله ﷻ، فإن استجابوا، وإلا فاطلب منهم الجزية، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم»^(١).

ولما أعطى الراية يوم خيبر لعلي بن أبي طالب ﷺ قال له: «امض على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النعم»^(٢).

فنحن لا نقاتل الكفار من أجل الطمع في بلادهم وأموالهم، وإنما نقاتلهم لأجل مصلحتهم هم؛ لأجل إنقاذهم من النار، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، فنحن نقاتلهم من أجل مصلحتهم وإنقاذهم من الكفر والشرك، ونحن نتحمل في ذلك المشقة والجراح والقتل، كله لأجل مصلحة البشرية، وليس ذلك للطمع في شيء من الدنيا كما يظن بعض الجهلة، أو بعض المغرضين، ولذلك نبدوهم بالدعوة، فإن استجابوا لم يحتج لقتال، أما إن تمردوا وعتوا؛ فإنهم يقاتلون.

والذي يأمر بالقتال وينظمه: إمام المسلمين؛ لأنه من صلاحياته

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه (٣/ ١٣٥٧، برقم ١٧٣١) وما بعده، كتاب الجهاد والسير، باب: الجهاد والسير، من حديث بريدة ﷺ.

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه (٢/ ٩٢٥، برقم ٣٠٠٩)، كتاب الجهاد والسير، باب: فضل من أسلم على يديه رجل، من حديث سهل بن سعد ﷺ.

يقوم بذلك بنفسه، أو من ينييه، ولا يجوز للمسلمين الجهاد بدون إذن الإمام إلا في حالة واحدة: إذا دهمهم عدو يخشون بأسه، فإنهم يدفعونه، وهذا الدفع لا يحتاج لإذن الإمام؛ لأن هذا درء للخطر، قال ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم»^(١). فلا بد للمسلمين من قيادة وإمامة تنظم الجهاد والغزو في سبيل الله.

والمسلمون لا بد أن يكونوا تحت إمام، وتحت قيادة، وهم أمة واحدة، فلا يجوز التفرق والاختلاف لاسيما في أمور الجهاد؛ فإنهم إذا اجتمعوا مع إمامهم، وتحت قيادته صار ذلك أقوى لهم، وأهيب لعدوهم.

أما إذا تفرقوا واختلفوا وكل يرى نفسه أنه صاحب الصلاحية، ولا يخضع لإمام فهنا تحل الكارثة بالمسلمين، قال الله ﷻ: ﴿بَتَّائِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٧].

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ (٢/ ٩٩٠) كتاب الكلام، باب: ما جاء في إضاعة المال وذوي الوجهين، ورواه مسلم بنحوه في صحيحه (٣/ ١٣٤٠، برقم ١٧١٥) كتاب الأقضية، باب: النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات، وهو الامتناع عن أداء حق لزمه، أو طلب ما لا يستحق. كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أمرنا ﷺ بالاجتماع تحت قيادة واحدة، حتى تقوى ربُّنا، ويبقى جمعنا متكاتفًا، فإذا صار كل واحد منا مفتيًا لنفسه؛ لا يرجع إلى إمامة، ولا قيادة، فهذا هو التفرق - والعياذ بالله - وهذا يُفرح العدو، واللَّه يقول: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا...». الحديث^(١).

فلا بد للمسلمين من قيادة وإمامة، ويجب عليهم الحذر من الشذوذ والتفرق والاختلاف، فلا ينظم الجهاد والغزو غير الإمام، فشئون الجهاد من صلاحيات الإمام، لأنه ليس بالأمر الهين، بل هو أمر مهم يحتاج إلى اجتماع، وإلى قوة، وإلى تنظيم، وإلى إعداد، فلا بد إذن من إذن الإمام وقيادة الإمام، فهذا هو الجهاد في سبيل الله، والغاية منه إعلاء كلمة الله ﷻ ونشر هذا الدين وإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

ولهذا فإن الرسول ﷺ قبل وفاته لما كاتب الملوك وبلغ الدعوة، شرع في الجهاد، فجهز الجيوش، وغزا الكفار في بلادهم، ثم لما توفي ﷺ واصل أصحابه الجهاد في سبيل الله الذي بدأه الرسول ﷺ،

(١) تقدم قبل قليل.

فغزوا فارس والروم ونشروا هذا الدين بالدعوة والعلم والجهاد في سبيل الله ؛ حَتَّىٰ بَلَغَ هَذَا الدِّينَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ، وَتَحَقَّقَ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣] .

هذا هو دين الإسلام ، دين العدل والخير والهداية ، وهو نعمة عظيمة لا يجوز أن نستأثر بها ، ونترك الناس ؛ بل لابد أن ننشر ونعمم هذا الخير على البشرية ، فهو مسئوليتنا أمام الله ﷻ يوم القيامة ، فهذا الدين ليس لنا وحدنا ؛ بل هو للبشرية ، ولن ينتشر هذا الدين في البشرية إلا بأمرين : الدعوة إلى الله ، والجهاد في سبيل الله ﷻ ، كما قال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

هذه وظيفة المسلمين : أن ينشروا هذا الدين بالدعوة والإرشاد وبالجهاد في سبيل الله ﷻ ، وبذلك ينتصر هذا الدين ، والله - جل وعلا - يقول : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١] .

فنحن إن تمكنا في الأرض لا نقتصر على أخذ الأموال ، وجباية الخراج ، وما أشبه ذلك ؛ بل لابد أن نقيم الصلاة ، ونلزم بإقامتها ، ونأمر بالمعروف ، وننهى عن المنكر في جميع بلاد الله ﷻ التي تكون

تَحْتَ سُلْطَتِنَا ، وَيَقُولُ ﷺ : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥] .

هذا هو الأساس : ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ .

وبعده الجهاد في سبيل الله ؛ لأجل أن يُعبد الله وحده ولا يُشرك به شيء ، وهذه هي دعوة الرسل كما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] .

وقال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] .

هذه هي الغاية من الجهاد في سبيل الله وهذه بعض أحكامه ، وهذه بعض آدابه .

والجهاد له باب عظيم في مؤلفات أهل العلم ، يُرجع إليها وتُستقرأ هذه الأحكام من كتاب الله وسنة رسوله ، ويُسأل عنها أهل العلم ، وأهل البصيرة ، لأن الجهاد أمره عظيم ، إذا نُظِم وصار على ما رسمه الله ﷻ ، صار جهادًا نافعًا للأمة ، أما إذا كان فوضى وبغير بصيرة وبغير علم فإنه يصبح نكسة للأمة وعلى المسلمين ، فكم يقتل من المسلمين بسبب مغامرة جاهل أغضب الكفار ، وهم أقوى منه ، فانقضوا على المسلمين تقتيلًا وتشريدًا وخرابًا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ويُسمون هذه المغامرة بالجهاد ، وهذا ليس هو الجهاد ؛ لأنه لم تتوفر

شروطه، ولمْ تتحقق أركانه، فهو ليس جهادًا، وإنّما هو عدوان لا يأمر الله ﷻ به.

هذا، ونسأل الله ﷻ أن ينصر دينه، وأن يعلي كلمته، وأن يقيم علم الجهاد، فإن الجهاد ماضٍ إلى أن تقوم الساعة، حتّى يقاتل آخر هذه الأمة الدجال، فالجهاد ماضٍ ولله الحمد، إلى أن تقوم الساعة، ما بقي هذا الدين فإن الجهاد سيبقى، ويهيئ الله - جل وعلا - لهذا الجهاد وهذا الدين من يقوم به، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَتَذَكَّرُ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

فالجهاد باقٍ إلى أن تقوم الساعة؛ ولكن لا بد أن يكون متمشيًا مع الضوابط الشرعية، والحدود المرعية، حتّى يكون جهادًا صحيحًا، ولا يكون فيه فوضى، ولا يكون فيه عدوان، ولا يكون فيه جهل، وإنّما يكون جهادًا شرعيًا، فإذا كان الجهاد على الوجه المشروع؛ فإنه سينتج النتيجة الطيبة كما حصل في صدر هذه الأمة لما جاهدوا في سبيل الله تحت رايات الجهاد، وتحت أمر ولاة الأمور نشروا هذا الدين في مشارق الأرض ومغاربها.

ونسأل الله ﷻ أن يُعلي كلمته، وأن ينصر دينه، وأن يخذل أعداءه. وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد، وعلى آله وأصحابه أَجْمَعِينَ.

الأسئلة

السؤال: أيهما أعظم: جهاد العلم، أم جهاد السيف؟

الجواب: العلم أولاً، فلا بد للإنسان أن يتعلم ما يستقيم به دينه، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [مُحَمَّد: ١٩]. فبدأ بالعلم قبل القول وقبل العمل، فالعلم أولاً، ثم يكون العمل ومنه الجهاد، حَتَّى يكون جهاده على علم وعلى بصيرة، ولا يكون على جهل وخطأ.

السؤال: هل السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين أصل من أصول العقيدة السلفية؟

الجواب: نعم، لا تكون جماعة للمسلمين إلا بقيادة، ولا قيادة إلا بسمع وطاعة، ولهذا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. وقال النبي ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيري اختلافاً كثيراً»^(١). فأمر بالسمع والطاعة بعد تقوى الله ﷻ.

(١) رواه الدارمي في سننه (٤٥/١) في المقدمة، باب: اتباع السنة، ورواه الترمذي في سننه (٤٣/٥)، برقم (٢٦٧٦) كتاب العلم، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة، واجتناب البدع، ورواه ابن ماجه في سننه (١٥/١)، برقم (٤٢) في المقدمة، باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، كلهم من حديث العزيراض بن سارية رضي الله عنه، ورواه غيرهم.

السؤال: هل الخروج على الحكام يكون بالفعل فقط، أم يكون بالقول أيضًا؟

الجواب: الخروج على ولاية الأمور يكون بالاعتقاد وبالقول، ويكون بالفعل؛ وإذا اعتقد أنه يجوز الخروج على ولاية الأمر، وأنه لا طاعة عليه لهم، إذا اعتقد هذا ولو لم يتكلم به؛ فإن هذا خروج على ولاية الأمور، وخروج على السمع والطاعة لولاية الأمور.

وإذا تكلم وقال: إن ولي الأمر لا تجب طاعته؛ فهذا خروج بالقول، وإذا حمل السلاح كان ذلك أشد وشقًا للعصا فهذا خروج بالفعل.

فالخروج يكون بالاعتقاد وبالكلام كأن يتحدث في المجالس ويسب ولاية الأمور ويقول: هؤلاء ليس لهم سَمْع ولا طاعة.

ويكون بالفعل: وذلك بحمل السلاح على المسلمين وإمامهم.

السؤال: ما رأيكم فيمن يفتي الناس بوجوب الجهاد، ويقول: لا يُشترط للجهاد وال ولا راية؟

الجواب: هذا رأي الخوارج، فلا بد من راية، ولا بد من إمام، وهذا منهج المسلمين من عهد رسول الله ﷺ. والذي يُفتي بأنه يكون بلا إمام ولا راية، فهو خارجي، متبع لمذهب ورأي الخوارج.

السؤال: ما رأي فضيلتكم فيمن يستدل بعدم إذن الإمام بقصة أبي

بصير رضي الله عنه؟

الجواب: أبو بصير رضي الله عنه ليس في قبضة الإمام، ولا تحت إمرته، بل هو في قبضة الكفار وفي ولايتهم، فهو يريد أن يتخلص من قبضتهم وولايتهم، فليس هو تحت ولاية الرسول ﷺ؛ لأن الرسول ﷺ سلمه لهم بموجب العهد والصلح الذي جرى بينه وبين الكفار، فليس هو في بلاد المسلمين، ولا تحت قبضة ولي الأمر.

السؤال: ما حكم الجهاد في هذا الزمان، وأين نجده؟ وهل يجوز لنا أن نجاهد تحت راية حاكم كافر، أو مبتدع؟

الجواب: القتال إذا كان تحت راية كافر فهو ليس بجهاد، وإنما تقاتل تحت راية المسلمين، ومع جماعة المسلمين.

السؤال: حديث البخاري: «الإمام جنة يتقى به ويقاقل من ورائه»^(١). هل هو دليل من يقول بوجوب أن يكون للجهاد إمام يعقد رايته؟

الجواب: نعم، هذا نص في الموضوع، فالإمام سترة للمسلمين، ويقاقل من وراء هذه السترة، ولا شك أن قيادة المسلمين وإمامة المسلمين نعمة عظيمة للمسلمين، يقاتلون تحت رايته، والإمام يقيم الحدود، ويؤدي الحقوق، ويبسط الله به الأمن على البلاد، فهو نعمة من الله ﷻ.

السؤال: ذهاب البعض إلى الجهاد في أماكن متفرقة دون إذن الإمام،

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه (٩١١/٢)، برقم (٢٩٥٧) كتاب الجهاد والسير، باب: يقاتل من وراء الإمام، ويتقى به، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

هل هذا صحيح؟

الجواب: لا يجوز لهم أن يخرجوا إلا بإذن الإمام؛ لأنهم رعية، والرعية لا بد أن تطيع الإمام، فإذا أذن لهم يبقى أيضًا إذن الوالدين ورضاهما في جهاد الطلب، فلا يذهب إلا برضا والديه؛ لأن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يريد أن يُجاهد، فقال له: «أحي والداك؟» قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد^(١). فأرجعه إلى والديه، فدل ذلك على وجوب إذنهما بعد إذن ولي الأمر.

السؤال: إذا كان لوالدي أبناء غيري، وليس يحتاجني في شيء، ولا مبرر له بعدم الإذن لي بالجهاد إلا خوفه عليّ من الموت، فما الحكم؟

الجواب: الحكم أنك تطيعه، ولو كان له مائة ولد، فيجب عليك طاعته، والبر به، وهذا فيه الأجر والثواب.

السؤال: هل يجوز الخروج للجهاد بدون إذن الإمام إذا نال رضا الوالدين؟

الجواب: إذا أذن له الوالدان، بقي إذن الإمام، فلا بد من الأمرين: إذن الإمام، ورضا الوالدين.

* * *

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه (٩٢٣/٢)، برقم (٣٠٠٤) كتاب الجهاد والسير، باب: الجهاد بإذن الوالدين، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

تعليق سماحة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ مفتي عام المملكة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه،
ومن والاه.

و بعد:

فقد تحدث فضيلة الشيخ: صالح، في هذا المقام عن أنواع
الجهاد، وضوابط كل نوع، وماذا يلزم المسلم في هذا الشأن، وما هو
الجهاد المتعين، وما هو الجهاد غير المتعين، وأجاب عن استفسارات
السائلين بإجابات شرعية فيها البصيرة لمن يريد التبصر.

فإن هذه الموضوعات المهمة إذا تحدث عنها أهل العلم والفقه في
دين الله، تحدثوا عن بصيرة، وعن علم، وعالجوا هذه القضايا على
وفق ما دل عليه الكتاب والسنة الصحيحة، وبهذا يستقيم حال الأمة إذا
تلقوا عن علمائهم وذوي الفقه منهم الأحكام الشرعية، وتلقوا
التوجيهات النافعة التي تهديهم إلى الطريق المستقيم.

فكم من مفتٍ وكم من مُحاضر وكم من متحدث يقول ما لا علم له
به، ويتحدث عمًا لا يدرك غايته! ورُبَّما زل لسانه بشيء، فأخذها عنه
من أخذها، واغتربها من اغتر؛ فعادت على أولئك بالضرر المحض.

فأخذ العلم والفقه يكون من أهل العلم والفقه، الذين إن تحدثوا،
تحدثوا بعلم، وإن سكتوا، سكتوا عن علم، وقالوا على الله بعلم، ولم
يكن الأمر تخرصاً ولا عواطف جياشة تسوقهم بلا بصيرة ولا روية.

فمن سمع هذا المحاضرة، وأصغى إليها سمعه ببصيرة وتأمل؛
سيجد فيها الغاية من الاتزان والتبصر، فيكون منطلقاً في أموره على
دليل وهدى.

فإن الأمة إنما وقعت فيما وقعت فيه من البلاء لما أفتى الناس من
لا يعلم وتحدث من لا يفهم، فهؤلاء الخوارج في عهد صحابة رسول
الله ﷺ لما لم يقبلوا من أصحاب رسول الله ﷺ فهمهم، ولم يصغوا
إلى علمهم، واغترروا بأنفسهم، واعتدوا برأيهم، وفهموا القرآن على
غير ما فهمه أصحاب النبي ﷺ، وكانوا كما أخبر النبي ﷺ: «خُدَّاء
الأسنان، سفهاء الأحلام». لا علم، ولا بصيرة؛ فضلوا وزاغوا عن
طريق الهدى؛ فاستباحوا دماء المسلمين، وأموالهم رغم أن عندهم
أصحاب رسول الله ﷺ أعلم الخلق، وأفقههم في دين الله؛ لكن
الغرور والإعجاب بالنفس والانخداع بمن لا علم عنده أضلهم عن
الطريق المستقيم، ولو أخذوا العلم عن أصحاب رسول الله ﷺ
وأصغوا إلى توجيهاتهم ونصائحهم، كما أتاهم ابن عباس وناظرهم
حتى رجع من رجع منهم، وبقي على غوايته وضلالته من ليس قصده
الحق، إنما قصده الباطل والاضلال، فلما عرضوا عن علم الصحابة
وتوجيهاتهم ضلوا.

وهكذا من كل زمان ومكان : إذا أعرض الناس عن توجيهات العلماء الراسخين الناصحين ، وأخذوا العلم عن أناس مقبلين على العلم والفتوى بلا دراية ولا بصيرة ، فعندئذ يقود هؤلاء الناس إلى الهاوية ، ويوقعونهم في البلايا .

فنسأل الله السلامة والعافية ، وجزى الله الشيخ بما قال خيراً ، وجعلنا وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

وصلّى الله على عبد الله ورسوله مُحَمَّد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

المصادر والمراجع

- ١- سنن الترمذي، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.
- ٢- صحيح الإمام البخاري، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ. وط دار السلام-الرياض.
- ٣- تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي. طبع حكومة الكويت ١٣٨٩هـ.
- ٤- صحيح الإمام مسلم، دار إحياء التراث العربي. وط دار السلام-الرياض.
- ٥- سنن الدارمي، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي.
- ٦- سنن ابن ماجه، دار إحياء التراث العربي.
- ٧- مسند الإمام أحمد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

* * *

ظاهرة

التبذير والتفسيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ فَنَسُوهُ وَكُنْ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦١﴾ إِذْ يَتَلَفَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٦٢﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٦-١٨].

ويقول ﷺ: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

ويقول الرسول ﷺ: لَمَّا بَيَّنَّ لِمَعَاذِ ﷺ أَبْوَابَ الْخَيْرِ، قَالَ لَهُ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى مَلَاكَ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، وَقَالَ: كَفْ عَلَيْكَ هَذَا. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَإِنَّا لَمَوَازِحِدُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: ثَكَلْتُكَ أُمُّكَ يَا مَعَاذُ، وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ -

إلا حصائد ألسنتهم؟^(١).

﴿ ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فإن الله ﷻ قد أمر هذه الأمة بالاجتماع والائتلاف، ونهاها عن التفرق والاختلاف، كما قال ﷻ : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٥٦) وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١٥٧) وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٥٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (آل عمران: ١٠٢-١٠٥).

وقال ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٩).

ولقد سار صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة على هذا المنهج الذي أمرهم الله ﷻ بالسير عليه، فكانوا إخوة متحابين، متناصرين، متآلفين، كما قال الله لنبيه ﷺ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَلَدَكَ بِنُصْرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١١٧) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٦٢-٦٣).

وقد وصفهم الله ﷻ بقوله : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٣١، ٢٣٧)، ورواه الترمذي في سننه (٧/ ٢٨٠، ٢٨١)، ورواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٣١٤، ١٣١٥).

فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾

[المائدة: ٥٤].

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وقد وصفهم النبي ﷺ بقوله: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(١).

وكما قال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً. وشبك بين أصابعه»^(٢).

وهكذا كان سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة متمسكين بهذا المنهج الرباني عاملين به في أمور حياتهم كلها؛ ولذلك عندما حدثت الفتنة، وحصل ما حصل من القتال بينهم، لَمْ يُكْفَرْ بعضهم بعضاً، ولا فسَّق بعضهم بعضاً، ولا بدَّع بعضهم

(١) رواه مسلم في صحيحه (رقم ٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه (٨٠/٧) من حديث أبي بردة بن أبي بردة عن أبيه، عن جده أبي بردة، عن أبيه أبي موسى.

بعضًا ؛ بل مع اقتتالهم وما شجر بينهم كانت الأخوة باقية ، فلم يكونوا يتنازرون بالتكفير والتفسيق والتبديع ، فما كان يسبي بعضهم بعضًا ، وما تكلم أحد في عقيدة الآخر ودينه ؛ بل كانوا إخوة متحابين فيما بينهم .

بل عندما ظهرت أصول الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة : كالخوارج ، والرافضة ، والقدرية ، والمرجئة ، خالفوا هذه الفرق ، ولم يتركوا هذا المنهج ؛ بل كانوا مع ذلك جماعة واحدة ، كما وصفهم النبي ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ »^(١) .

عاملين بقوله ﷺ لَمَّا أَخْبَرَ عَنْ افْتِرَاقِ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً ، كانوا عاملين بقوله عندما سأله عن هذه الواحدة الناجية من هي ؟ قال : « ما أنا عليه وأصحابي »^(٢) . فكانوا متمسكين بما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه ، ولا يزالون كذلك بحمد الله تعالى .

علامات أهل السنة والجماعة

علامة أهل السنة والجماعة : أَنَّهُمْ يَدُ وَاحِدَةً ؛ لِأَنَّهُمْ إِخْوَةٌ ، فَلَا يُكْفَرُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، وَلَا يُفْسَقُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، وَلَا يُبَدَّعُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ هِيَ سِمَةُ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ .

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه (١٥٢٣/٣) من حديث ثوبان رضي الله عنه .

(٢) رواه الترمذي في سننه (٢٩٧/٧) من حديث عبد الله بن عمرو .

ومنها : أَنَّهُمْ عاملون بوصية النَّبِيِّ ﷺ في قوله : «من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعُضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ»^(١).

فكانوا على هذا المَنهج الرباني متمسكين بسنة الرسول ﷺ، وسنة خلفائه الراشدين، ومنهج السلف الصالح، ولا يزالون كذلك -ولله الحمد- وإن كانوا قلة، إلا أَنَّهُمْ فيهم البركة، وفيهم الخير.

فكانوا متبعين لمنهج المهاجرين والأنصار بإحسان، متمسكين بذلك، عاملين بقوله ﷺ : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

من أصول مذهب أهل السنة والجماعة

ومن أصول مذهب أهل السنة والجماعة : سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، وسلامة قلوبهم وألسنتهم لإخوانهم المسلمين في أي وقت وفي أي مكان، يقولون دائماً : ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

(١) رواه أبو داود في سننه (٢٠٠/٤)، ورواه الترمذي في سننه (٣١٨/٧، ٣١٩)، ورواه ابن ماجه في سننه (١٥-١٦)، ورواه الإمام أحمد في مسنده (١٢٦/٤) ورواه الحاكم في مستدركه (٩٧/١)، ورواه الدارمي في سننه (١٥٧/١)، كلهم من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه.

عاملين بقول النبي ﷺ: « لا يؤمن أحدكم حتى يُحب لأخيه ما يُحب لنفسه »^(١). وهذه صفة أهل السنة والجماعة «الفرقة الناجية»: أنهم سائرون على هذا المنهج؛ يوالي بعضهم بعضًا، ويألف بعضهم بعضًا، ويرحم بعضهم بعضًا؛ ويوقر بعضهم بعضًا؛ لأنهم جسد واحد وبنيان واحد وأمة واحدة، يغار بعضهم لبعض؛ ويحترم بعضهم بعضًا، وهذه الأمور هي سمة أهل السنة والجماعة.

أثر ظهور الفرق الضالة

وعندما ظهرت الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة؛ نتج عن ذلك مضاعفات قبيحة وإفرازات سيئة، أثرت على كثير من الناس، فتأثروا بها، وتوارثوها، وصاروا يبعثونها وينشرونها في كل وقت ومهما وابتليت لهم الفرصة؛ ذلك بإملاء من شياطين الجن والإنس، وهذا خطره عظيم؛ لأنه يقضي على وحدة الأمة الإسلامية.

ومن هذه المضاعفات القبيحة والإفرازات السيئة لهذه الفرق الضالة: ظاهرة التبديع والتفسيق والتكفير، ينشرها من ورثهم من أتباعهم، بل هي أصل منهجهم.

وعلامة أهل السنة: هي سلامتهم من هذه الأمراض.

وعلامة المخالفين لهم: اتصافهم بهذه الأمراض الخبيثة الوبائية التي هي التبديع والتفسيق والتكفير، والاشتغال بها مهما تطاول

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه (٩/١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

الزمن، ومهما تنوعت الأساليب، هناك من يبعث هذه الآفات والأوبئة، ومنهج الفرق الضالة؛ لأن منهج أهل السنة والجماعة: هو الابتعاد عن هذه الأمور المذمومة، والتفقه في دين الله ﷻ، والتمسك بما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وسلامة قلوبهم وألسنتهم لسلف هذه الأمة ولإخوانهم المؤمنين.

ولذلك قال الله ﷻ في حقهم: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُؤْتُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

ومن أعظم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: النهي عن التبديع، والتفسيق، والتكفير بغير حق، فهم ينهون عن ذلك، ويحذرون منه، وشغلهم الشاغل هو العمل الصالح، يأمرون به، ويفعلونه، ويتفقهون فيه، هذا عملهم: ﴿وَيُؤْتُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾. ينفعون أنفسهم، وينفعون غيرهم ﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

ومن أعظم طاعة الله ورسوله: أنهم يحثون على الاجتماع على كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ وعلى التألف والتآخي في الله؛ لأن المؤمنين جعلهم الله إخوة كما قال: ﴿فَأَصْبَحَتْ بَنَاتُهُ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

فأخوة الإيمان عندهم أوثق من أخوة النسب، فهم يحافظون على هذه الأخوة، وهذا منهج أهل الإيمان.

أما أهل النفاق - وفيهم الفرق الضالة - فصفتهم كما قال الله تعالى:

﴿الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَّقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾
[التوبة: ٦٧].

فصفااتهم على عكس صفات المؤمنين تمامًا.

ظاهرة التبديع والتفسيق والتكفير

لقد ظهرت في هذا الزمان، وبين أوساط الشباب خاصة، وبين أوساط بعض المسلمين الذين يجهلون حقيقة الإسلام، بأن تكون عندهم غيرة زائدة، أو حماسة في غير محلها، ظهرت عندهم ظاهرة التكفير والتفسيق والتبديع، وصار شغلهم الشاغل في كل أمور حياتهم هذه الصفات المذمومة: من البحث والتنقيب عن المعائب، وإظهارها ونشرها حتى تشتهر، وهذا علامة فتنة وعلامة شر، نسال الله ﷻ أن يقي المسلمين شرها، وأن يبصر شباب المسلمين بالطريق الصحيح، وأن يرزقهم العمل على منهج السلف الصالح والسير عليه، وأن يبعد عنهم دعاة السوء.

ما هو الفسق؟ ومتى يكون المسلم فاسقًا؟

* الفسق هو: الخروج عن طاعة الله.

* وهو نوعان: فسق الكفر، وفسق ما دون الكفر.

* وفسق ما دون الكفر: لا يُخرج من الملة؛ لكنه يُنقص الإيمان،

ففيه نوع خروج لكنه لا يُخرج صاحبه من الإسلام، ولا يجعله فاجرًا،

بل يكون فاسقًا، ويكون المسلم فاسقًا إذا ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب: كالزنا، وشرب الخمر، والسرقة، وأكل الربا، وما شابه ذلك من كبائر الذنوب، إذا لم يستحلها، وإنما ارتكبها عن هوى وشهوة قادته إليها، فإنه يُعد فاسقًا.

وحُكِّمه عند أهل السنة والجماعة: أنه مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فهو من المؤمنين ومن أهل التوحيد، وإذا لم تكن فيه خصلة من خصال الشرك المخرج من الملة، فإنه يبقى له اسم الإيمان واسم الإسلام، ويكون مسلمًا إلا أنه ناقص الإيمان، وهذا ما يُسمى بالفاسق أو الفاسق، وإذا فعل كبيرة تستوجب الحد؛ أقيم عليه الحد، لكنه مع هذا يُعد من المؤمنين، ويُعامل معاملة المؤمنين؛ لأنه لو لم يكن من المؤمنين؛ لما كفى إقامة الحد عليه؛ بل كان لابد من قتله؛ لأن المرتد لابد أن يُقتل لقوله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»^(١).

فكون هذا العاصي يُقام عليه الحد يدل على أنه من أهل الإيمان، ويُعامل معاملة المؤمنين، ويوالى بقدر ما فيه من الإيمان، ويُبَغَضُ بقدر ما فيه من المعصية؛ لأنه لم يخرج عن دائرة الإيمان، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

● مذهب الخوارج والمُعْتَزلة في مرتكب الكبيرة:

أما مذهب الخوارج والمُعْتَزلة، فهو على النقيض من مذهب أهل

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه (٥٠ / ٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وللحديث قصة.

السنة والجماعة .

فالخوارج : يَحْكُمُونَ عَلَى مُرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ بِأَنَّهُ كَافِرٌ خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ ، وَإِذَا مَاتَ وَلَمْ يَتُبْ فَإِنَّهُ يَكُونُ مُخْلَدًا فِي النَّارِ عَلَى مَذْهَبِهِمْ .

أما الْمُعْتَزِلَةُ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنَ الْإِسْلَامِ ؛ لَكِنَّهُ لَا يَدْخُلُ فِي الْكُفْرِ ، فَيَكُونُ عِنْدَهُمْ فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ ، فَلَا يُقَالُ : هُوَ كَافِرٌ ، وَلَا مُؤْمِنٌ ، وَإِذَا مَاتَ وَلَمْ يَتُبْ فَإِنَّهُ يَكُونُ مُخْلَدًا فِي النَّارِ ، كَمَا تَقُولُ الْخَوَارِجُ .

● حُكْمُ مُرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ عِنْدَ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ :

أما مذهب أهل السنة فيقولون : الْمُؤْمِنُ الَّذِي ارْتَكَبَ كَبِيرَةً مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ لَا يُقَالُ عَنْهُ : كَامِلُ الْإِيمَانِ ؛ بَلْ هُوَ نَاقِصُ الْإِيمَانِ .

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ : إِنَّهُ كَامِلُ الْإِيمَانِ هُمُ الْمُرْجِئَةُ الَّذِينَ يَقُولُونَ : « لَا تَضُرُّهُ مَعَ الْإِيمَانِ مَعْصِيَةٌ ، كَمَا لَا تَنْفَعُ مَعَ الْكُفْرِ طَاعَةٌ » . وَهُمْ بِذَلِكَ عَلَى النَّقِيضِ مِنَ الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ ، الَّذِينَ يَقُولُونَ : هُوَ خَارِجٌ مِنَ الْإِيمَانِ ، فَهُمْ عَلَى طَرَفِي نَقِيضٍ .

ومذهب أهل السنة هو الوسط في هذا الباب ، فلا يقولون : إنه كامل الإيمان كما تقول المرجئة ، ولا يقولون : إنه كافر كما تقول الخوارج ، ولا في منزلة بين المنزلتين كما تقول المعتزلة ، بل يقولون : إنه مؤمن ناقص الإيمان ، مؤمن بإيمانه ، فاسق بكبيرته ، يُحِبُّ مِنْ وَجْهِهِ ، وَيُبْغِضُ مِنْ وَجْهِهِ ، وَإِذَا مَاتَ وَلَمْ يَتُبْ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ﷻ ، فَهُوَ تَحْتَ الْمَشِيطَةِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ غُفِرَ لَهُ ، وَإِنْ شَاءَ عَذِبَهُ ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ بَعْدَ ذَلِكَ ،

كما قال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وكما في الحديث: «انطلق فأخرج من النار مَنْ كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان»^(١).

فمذهب أهل السنة والجماعة مبني على الأدلة من الكتاب والسنة، وهو مذهب الاعتدال والوسطية؛ لأنه وسط بين الفرق الضالة، كما أن الأمة الإسلامية وسط بين الأمم الكافرة، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

• أدلة عدم خروج الفاسق من الإيمان:

مما يدل على أن الفاسق ليس خارجاً من الإيمان: أن الله ﷻ أمر بالإصلاح بين المتقاتلين؛ فقال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾. فالله ﷻ جعل الطائفتين من المؤمنين مع أنهما يقتتلان: ﴿فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَقَّ تَقِيٍّ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه (٨/ ٢٠٠-٢٠١) من حديث أنس بن مالك، وهو جزء من حديث الشفاعة الطويل.

فجعل الله المقتتلين أخوين للمؤمنين، فدل ذلك على أن الكبيرة التي هي دون الشرك لا تُخرج من دائرة الإيمان.

ومن ذلك: قوله ﷺ لما حكم بالقصاص لأولياء القتيل من القاتل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقَصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْ بِالْحَرْ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأُولَئِكَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨].

ف: ﴿عُفِيَ لَهُ﴾ يعني: القاتل، و﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ يعني: المقتول، فسمى القتيل أخًا للقاتل، مع أن القتل كبيرة من كبائر الذنوب، ومع هذا جعلهما أخوين، فدل ذلك على أن الكبائر التي هي دون الشرك لا تُخرج من الملة.

ظاهرة التبديع

البدعة عرّفها أهل السنة والجماعة بأنها: ما أحدث في الدين ممّا ليس منه، فمن جاء بعبادة يتقرب بها إلى الله، وهي لم تكن في دين الله، وليس لها دليل من الكتاب أو من السنة؛ فهذه هي البدعة، بدليل قوله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(١)، وفي رواية: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(٢)؛ لأن الواجب على المسلمين أن يقتصرُوا على ما شرعه الله ورسوله من العبادات، فلا يزيدون شيئاً لم يشرعه الله ورسوله ﷺ.

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه (١٣٤٣/٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه (١٦٧/٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢].

ف: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ يعني: جاء بالتوحيد الخالص، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، أي: متبع للرسول ﷺ عاملاً بما جاء به ولم يزد على ذلك، أما الذي زاد في العبادة شيئاً لم يشرعه الرسول ﷺ فهذا مبتدع وليس مُحسناً؛ لأن تفسير شهادة أن مُحَمَّدًا رسول الله، أي: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع، فهذا مقتضى شهادة أن مُحَمَّدًا رسول الله.

وكما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١].

إذن؛ المُبتدع هو: الذي أحدث في دين الله ما ليس منه؛ بحيث يأتي بدين لم يدل عليه دليل من القرآن أو من السنة، وليس المبتدع كل من خالف أو أخطأ في الاجتهاد؛ لأن المُجتهد إذا أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد على اجتهاده.

والمقصود بالمُجتهدين هم: من تأهلوا للاجتهاد، وتوفرت فيهم شروطه المعروفة، وكذلك إذا أخطأ المخطئ عن تأويل؛ لأن التأويل شبهة تدرأ عنه الحكم بأنه مبتدع؛ ولأنه ظن أن تأويله سائع، أو قلد من ظن أنه على حق؛ فهذا يُقال في حقه: إنه أخطأ أو خالف، ولا يُقال:

إنه مبتدع .

دليل ذلك : أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يَجْتَهِدُونَ وَيَخْتَلِفُونَ فيما بينهم في بعض المسائل ، وَلَمْ يَبْدَعْ بعضهم بعضًا ، وَلَمْ يَهْجُر بعضهم بعضًا ، بل كانوا إخوة متحابين متناصرين ؛ لأنَّهم أمة واحدة ، مع أنَّهم يَخْتَلِفُونَ في بعض الأمور والاجتهادات التي سَمَحَ الشرع بالاجتهاد فيها .

● معرفة قدر العلماء ومكانتهم :

فالعلماء لهم مكانتهم وقدرهم ، ولذلك فإن ظاهرة التبديع إنما جاءت على لسان بعض الجهَّال ، أو المبتدئين في طلب العلم ؛ لأنَّهم يعتبرون المُتَأَوَّلَ والمقلِّدَ مبتدعًا ؛ بل أظهرُوا هذه المقالة .

وصار بعضهم يبدع بعضًا ، فتعادوا ، وتقاطعوا ، وتدابروا ، وَلَمْ يقتصر الأمر على ذلك فيما بينهم ؛ بل تناولوا العلماء السابقين فنجد هؤلاء الجهال يقولون : ابن حجر مبتدع ، النووي مبتدع ، أبو حنيفة مبتدع ، وغيرهم من كبار الأئمة .

وذلك من أجل أخطاء في الاجتهاد ، لا تقتضي أن نبذهم ؛ لأنَّها أخطاء جزئية ، وهؤلاء العلماء لهم فضل في الإسلام وإمامة ومكانة ، وقد قدموا للإسلام والمسلمين الكثير من الأشياء النافعة ، فمؤلفاتهم وكتبهم ينتفع بها المسلمون في فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ولو قُدِّرَ أن في كلام بعضهم شيئًا من الخطأ ، فما لهم من مكانة وفضل وعلم في الإسلام ، وخدمة السنة النبوية تُغطي هذه الجزئية الصغيرة ، فيجب أن نعرف قدر علمائنا -سلفًا وخلفًا- وأن نترحم

عليهم ، وأن ندعو الله لهم كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ [الحشر: ١٠] .

وهذه صفة أهل الإيمان ؛ لأنهم لا يتلمسون العيوب والعثرات أما غيرهم فيتتبعون العيوب والعثرات وينشرونها ، وهذه هي البدعة .

أنواع البدعة

والبدعة ليست على حدٍّ سواء ، فهناك بدعة مكفرة ، وهناك بدعة دون ذلك ، ومن هنا يجب أن نزن الأمور بموازينها ، ونراجع أهل العلم في ذلك ؛ لأنهم قسموا البدعة إلى قسمين : بدعة مكفرة ، كمقالات الجهمية ، والغلاة من الفرق ، وكل المقالات التي تُخرج من الإسلام ، وبدعة دون ذلك يُعَدُّ صاحبها من المسلمين ، لكن عنده شيء من البدعة ، فلا تُجَحِّف في حق الناس : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ [الأنعام: ١٥٢] .

التكفير

من الظواهر أيضاً التي ظهرت : التكفير .

* والكفر على نوعين :

* أحدهما : كفر أصلي : وهو الكفر الذي لم يدخل صاحبه في الإسلام أصلاً ، كالمشركين والمعطلة ، وأنواع الكفرة من وثنيين وملحدين ، فهؤلاء الكفار أصليون .

* والنوع الثاني : كفر ردة عن دين الإسلام : وهو الذي يكون صاحبه مسلماً ، ثم يرتكب ناقضاً من نواقض الإسلام ، فيخرج من

الدين، ويصير مرتدًا؛ فهذا كافر كفر ردة.

* ونواقض الإسلام معروفة ومُحددة عند أهل العلم: فمن أشرك بالله، أو دعا غير الله، أو استغاث بغير الله، أو ذبح لغير الله؛ فإنه يُعدُّ مرتدًا عن الإسلام؛ لأنه فعل الشرك الأكبر، وإن كان ينطق بالشهادتين.

* وكذلك من نواقض الإسلام: سب الله ورسوله ﷺ، أو الاستهزاء بشيء من كتاب الله، أو سنة الرسول ﷺ، فمن استهزأ بالله، أو بكتابه، أو برسوله، أو بسنته؛ فإنه يكفر بذلك، جادًا أو هازلًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِ وَأَيْنِيهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۚ لَا تَعْدِرُوا فَمَا كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

فما المقالة التي قالوها؟ قالوا: «ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أكذب السنة، وأرغب بطونًا، وأجبن عند اللقاء»^(١). يعنون: رسول الله ﷺ وأصحابه؛ فأنزل الله تكفيرهم في كتابه في آية تُتلى إلى يوم القيامة، من أجل تحذير المسلمين من الوقوع في مثل هذا.

وكذلك السحر تعلَّمه وتعليمه، كفر بالله ﷻ، وادعاء علم الغيب عن طريق الكهانة، أو عن طريق السحر والتنجيم أو العرافة؛ فهذا كفر يُخرج من الملة، وهذا هو الذي يُحكم عليه بالكفر.

(١) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري (١٠/١١٩-١٢٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٣٥١-٣٥٢)، وأسباب النزول للواحدي (ص ١٨٧-١٨٨).

كذلك إذا حَرَّمَ حلالاً مُجْمَعًا على حله، أو أحل حرامًا مُجْمَعًا على تحريمه؛ فإنه يكفر بذلك، أو أنكر شيئًا من الدين قد عُلم بالضرورة، كما لو جحد وجوب الصلاة، أو وجوب الزكاة، أو وجوب الصوم، أو الحج؛ فإنه يُحكم عليه بالكفر.

أما من لَمْ يرتكب ناقضًا من نواقض الإسلام؛ فإنه لا يُحكم عليه بالكفر، حتَّى وإن كان الذي ارتكبه كبيرة من الكبائر فإنه يُحكم عليه بالفسق، وإن كان ارتكب خطأ أو معصية ومُخالفة؛ يُحكم عليه بأنه مُخطئ، أو مُخالف، أو ما أشبه ذلك من الصفات التي تليق بما ارتكبه، فالإنصاف يقتضي أن نزن الأمور بموازينها الشرعية، ولا نطلق الكفر على كل من ارتكب مُخالفة أو فعل ذنبًا.

فمن أكل الربا مثلاً نَحْكُم عليه بأنه فاسق مرتكب لكبيرة إلا إذا استحلّه، أي: قال: إن الربا حلال، حينئذٍ نقول: إنه كافر؛ لأنه استحل حرامًا مُجْمَعًا على تحريمه، أما إذا أكله غير مستحل له فإنه يكون فاسقًا، ولا يخرج بذلك من الدين؛ بل يُعامل معاملة الفاسقين من المؤمنين.

إنَّما يُطلق التكفير جزافًا الجُهلة الذين يظنون أنَّهم علماء، وهم لَمْ يتفقهوا في دين الله ﷻ، وإنَّما يقرءون الكتب ويتتبعون العثرات، ويأخذون مسميات التفسيق ويطلقونها بغير علم على غير أصحابها أو من يستحقها؛ لأنَّهم لا يعرفون وضع هذه الأمور في موضعها لعدم فقههم في دين الله ﷻ، ومثلهم في ذلك كمثُل إنسان جاهل أخذ

سلاحًا، وهو لا يعرف كيف يستخدمه، فهذا يوشك أن يقتل نفسه وأهله وأقاربه؛ لأنه لا يُحسن استعمال هذه الآلة.

ومن هنا يجب على هؤلاء الذين يأخذون مسميات: «التبديع، والتفسيق، والتكفير» وهم لا يفقهونها: أن يتعلموا قبل أن يتكلموا، وأن يتقوا الله ﷻ؛ لأن الكلام بغير علم -لا سيما في هذه الأمور- شر عظيم؛ ولأنه أيضًا من الكلام على الله بغير علم وهذا أعظم من الشرك لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ ... إلى قوله: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفَرِّقُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقَرُّونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَقْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَقْرَأُ الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [النحل: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الصف: ٧].

ولهذا يجب على شباب المسلمين وطلاب العلم: أن يتعلموا العلم النافع من مصادره وعلى أهله المعروفين به، ثم بعد ذلك يعلمون كيف يتكلمون، وكيف يُنزلون الأمور منازلها؛ لأن أهل السنة والجماعة - قديمًا وحديثًا - قد حفظوا ألسنتهم؛ فلم يتكلموا إلا بعلم.

﴿الخلاصة﴾:

إن كلمة التفسيق والتبديع والتكفير كلمة خطيرة، لا تذهب سدى، إذا نطق بها الإنسان، فهي كلمة لها أثرها، فقد قال ﷺ: «إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر؛ فقد باء بها أحدهما»^(١).

وقال ﷺ: «... ومن لعن مؤمناً فهو كقتله، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله»^(٢).

فإذا قال الرجل لأخيه: يا فاسق، يا كافر، يا عدو الله، وهو ليس كذلك؛ حار عليه، -أي: رجع عليه- وبأل هذه الكلمة؛ لأنه لما قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، قال الله ﷻ: «من ذا الذي يتألى عليّ ألا أغفر لفلان، إنني قد غفرت له، وأحببت عملك»^(٣). وهذه كلمة واحدة.

وقال النبي ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها؛ يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق»^(٤).

إذن فالكلمة وإن كانت واحدة فهي خطيرة جداً.

فهؤلاء الذين يتكلمون في أعراض العلماء من السلف وغيرهم بالتكفير والتفسيق والتبديع لا يضررون العلماء، وإنما يضررون أنفسهم؛

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه (٩٧/٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه (٨٤/٧) من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه.

(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠٢٣/٤) من حديث جندب رضي الله عنه.

(٤) رواه الإمام البخاري في صحيحه (١٨٤/٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لأن العلماء لهم قدرهم وعلمهم ومكانتهم، والله لا يضيع أعمالهم، وما قدموه للإسلام والمسلمين من الأعمال الجليلة، والخوض فيهم يرجع وباله على المتكلمين.

فيجب أن يتقي الله من يتكلمون في أعراض العلماء الميتين والأحياء؛ لأن الله ﷻ قد حذر الأمة من اتباع هؤلاء بقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقُ بِنْيَا فَبَيِّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

ومعنى ﴿فَبَيِّنُوا﴾ أي: تثبتوا من كلامهم، ولا تتأثروا به لأول مرة، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا ضَآءٌ مِّنْ نَّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَتْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]. وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢].

فإن الله ﷻ نهى عن سوء الظن بالمسلمين عامة، فكيف إذا كانوا من العلماء؟! لذلك فسوء الظن بالعلماء جريمة؛ لأنهم ورثة الأنبياء، وإذا لم تثق الأمة في علمائها فبمن تثق؟!

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾. أي: لا تتبعوا عورات المسلمين المستورين. ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أي: أن أكل لحم الميتة أهون من الكلام في أعراض العلماء لأنهم خير الأمة، وقد قال ﷺ: «الغيبة: ذكرك أخاك بما

يكرهه. قالوا: يا رسول الله، أرايت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته^(١).

* فهذا المتكلم لا يخرج عن حالتين:

- أولهما: أن يكون مغتاباً يأكل لحم الميتة.

- أو: باهتاً كذاباً.

• وجوب النصيحة:

ومن هنا يجب على المسلمين: مناصحة هؤلاء الذين استطالت أسنتهم، وأن ينكروا عليهم أشدَّ الإنكار، وأن يأخذوا على أيديهم لعلهم يرجعون إلى الصواب؛ فتسلم جماعة المسلمين من الإثم والعقاب؛ فانصحوهم؛ لأن الدين النصيحة؛ ولأن كلامهم أخطر شيء على المسلمين؛ لأنه يفرق شملهم ويضعف جماعتهم، ويزيد العداوة بينهم، ويذهب الثقة من علماء المسلمين، وضياح الثقة بين الأمة وعلمائها هو هدف الأعداء حتى تضيع هذه الثروة العظيمة من العلم.

ولذلك يجب على الذين يتتبعون عثرات العلماء: أن يتوبوا إلى الله، ويكفوا عن هذه الخطوات؛ لأنها من خطوات الشيطان، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [النور: ٢١].

فعلينا وعلى جميع المسلمين: التوبة إلى الله ﷻ، وبث المحبة بين

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠٠١/٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المسلمين ، وإزالة ما يُسبب الأحقاد والفرقة والبغضاء بينهم .
وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين ، وأسأله أن يوفقنا وإياكم
لصالح العمل ، وأن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم ، وصلى الله
على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

تعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز على المحاضرة التي ألقاها فضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه
ومن اهتدى بهداه .

أما بعد : فهذا الكلام الطيب الذي تكلم به فضيلة الشيخ : صالح
الفوزان ، هو في موضوع خطير جدير بالعناية والتنبيه ، وهو ما يقع من
بعض الناس من الكلام في أعراض العلماء بشأن ما قد يقع من أخطاء
لا يسلم أحد منها كما قال رسول الله ﷺ : « كل بني آدم خطاء ، وخير
الخطائين التوابون »^(١) .

فالعصمة من الخطأ هي للأنبياء والرسل ؛ لأنهم يبلغون عن الله ﷻ ،
أما غيرهم فقد يقع منه الخطأ ، والعالم الموفق البصير بدين الله على خير
عظيم إذا اجتهد وتحرى الحق ؛ فله أجران إذا أصاب ، وله أجر واحد إذا
أخطأ وذنبه مغفور ، كما ثبت بذلك النص عن النبي ﷺ^(٢) .

(١) رواه الترمذي في سننه (٨/١٩١) ، ورواه ابن ماجه في سننه (٢/١٤٢٠) كلاهما
من حديث أنس رضي الله عنه .

(٢) انظر : صحيح الإمام البخاري (٨/١٥٧) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه .

وقد أوضح صاحب الفضيلة في هذا الموضوع ما ينبغي إيضاحه وفسر كلامه؛ فجزاه الله خيراً، وأعظم مثوبته، وزادنا الله وإياه وجميع المسلمين هدى وتوفيقاً، ونفعنا جميعاً بهذا الكلام الطيب.

وأنا أؤكد على جميع إخواني وجميع الطلبة: العناية بهذا الأمر، والاستفادة من هذه النصيحة، والحذر من القول على الله بغير علم، والحذر من الكلام في أعراض العلماء بغير علم، والإنسان إذا علم خطأً نبه عليه مع احترام العلماء وحفظ مكانتهم؛ كما قال النبي ﷺ: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا»^(١). فنبه على الخطأ بالدليل مع معرفة ما لصاحب الخطأ من منزلة وقدر واحترام.

فالعلماء لهم بعض الأخطاء، والله - جل وعلا - من لطفه وإحسانه غفر لهم، ما يقع من الخطأ؛ لأنه بعد اجتهد وتحرر للحق، وأثابهم على الاجتهاد بالأجر، وأعطاهم على الإصابة أجرين؛ لأن العلماء هم ورثة الأنبياء، وهم الشهداء بتوحيد الله ﷻ؛ قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْغَنِيُّ الرَّحِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

فالواجب: معرفة أقدارهم، وحسن الظن بهم، وحملهم على أحسن المحامل، وذكر محاسنهم، وما قد يقع من الخطأ فليسوا

(١) انظر مثلاً في ذلك: صحيح الإمام البخاري (١٤٥/٨) من حديث عائشة رضي الله عنها، وسنن النسائي (١٥٦/٢) من حديث أبي روح عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، وموطأ الإمام مالك (١٠٠٠/٢) من حديث عبد الله ابن أبي بكر، عن أبيه.

معصومين، والذين أصابوا لهم أجران، والذين أخطئوا لهم أجر على صبرهم واجتهادهم، غفر الله لهم، وجعلنا جميعاً من أتباعهم.

والواجب على أهل العلم -أيما كانوا-: التثبت من الأمور، وخصوصاً ما يتعلق بالأحكام الشرعية، فلا يتكلمون إلا عن علم وبصيرة، حتّى لا يقولوا على الله بغير علم، وحتّى لا يقولوا على رسول الله ﷺ بغير علم؛ لأن القول على الرسول بغير علم كبيرة من الكبائر.

حتّى جعل الله ذلك قرين كبيرة الشرك؛ لما يترتب على ذلك من البلاء العظيم، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ﴾ أي: قل يا محمد للناس: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فجاء الكلام على الله بغير علم قرين الشرك؛ لما يترتب عليه من الخطر العظيم، سواء كان في أسماء الله وصفاته، أو في شرعه ودينه، أو في أعراض الناس، وأخبر الله تعالى في آية أخرى أنه من خطوات الشيطان، فيدعوهم إليه، كما في سورة البقرة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلْالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ [البقرة: ١٦٨-١٦٩].

فالشيطان يأمر بكل شر، ومن ذلك القول على الله بغير علم،

والإنسان مستول عن سَمْعِهِ وبَصَرِهِ وَقَلْبِهِ وَعَقِيدَتِهِ ، قَالَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦] .

فالواجب على أهل العلم : الثبوت والتبصر .

وعلى طالب العلم : أن يعتدل ، وأن يتحرى الدليل ، وأن يتحرى الحق ، وأن يسأل أهل العلم فيما أشكل عليه ، ولا يدخل في أمور قد يغلط فيها ، ويقع فيما يضره ولا ينفعه .

نسأل الله لنا ولكم ولجميع المسلمين التوفيق لما يرضيه ، والعافية من أسباب غضبه ، ونسأله سبحانه أن يوفق جميع العلماء وطلبة العلم إلى الفقه في الدين والبصيرة في ذلك ، كما أسأله سبحانه أن يوفق جميع المسلمين لما فيه صلاحهم ، وأن يمنحهم الفقه في الدين ، إنه - جل وعلا - جواد كريم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وصلّى الله وبارك على عبده ورسوله نبينا مُحَمَّدٍ وعلى آله وأصحابه أَجْمَعِينَ .

* * *

أسئلة مهمة تتعلق بالموضوع

أجاب عليها فضيلة الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

الأسئلة

س : ما هو ضابط البدعة؟ ومتى يقال : هذا الشخص مبتدع؟

ج : البدعة كما قال النبي ﷺ : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(١). كل مُحدث بدعة، وكل بدعة ضلالة.

فالبدعة هي : كل ما لم يكن له أصل في كتاب الله، ولا في سنة رسوله ﷺ، فما أحدث من العبادات والأفكار وغير ذلك من أمور العبادة، هذه بدع. الذي ليس له دليل من الأقوال، أو من الأفعال، أو الاعتقادات، أو غير ذلك؛ كل ما ليس له دليل من الكتاب أو السنة فهو يكون مُحدثاً، وكل مُحدث في الدين يكون بدعة، وكل بدعة ضلالة.

س : ما موقفنا تجاه أهل البدع كالروافض؟ هل ندعوهم إلى السنة؟ وكيف نتعامل معهم لوجود واحد منهم معي في العمل؟

ج : الدعوة إلى الله مطلوبة لعل الله أن ينفعهم، وأن يتوبوا، أو على

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه (١٦٧/٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

الأقل أن تقوم الحُجة عليهم ، الدعوة إلى الله مطلوبة معهم ومع غيرهم ،
وأما العمل إذا كان أنك لا تخضع لهذا المبتدع ، وليس له عليك
سلطان ، وإنما أنت تحت إدارة أو رياسة مستقيمة ، وهو إنما هو يعمل
مثلك ؛ فلا شك أن كونك مع أهل السنة ومع أهل الخير أفضل ، أما إذا
كنتم في عمل ، أو في دائرة ، أو مكتب ، وهو ليس له عليك سلطة ،
ولا رياسة ، ولا إدارة ؛ فلا حرج في ذلك . . بشرط : أن تتمسك
بالسنة ، وتحافظ على الصلوات وتتركه جانباً ، لا تباسطه ، ولا تأنس
معه ، تتركه على جانب ، تعده كأنه غير موجود .

س : ما حكم تقسيم البدعة إلى : بدعة حسنة ، وبدعة سيئة ؟ وهل
يصح لمن رأى هذا التقسيم أن يحتج بقول الرسول ﷺ : « من سن سنة
حسنة في الإسلام ... » الحديث ، ويقول عمر : « نعمت البدعة هذه .. » ؟
نرجو في ذلك الإفادة ، جزاكم الله خيراً .

ج : ليس مع من قسم البدعة إلى بدعة حسنة ، وبدعة سيئة دليل ؛ لأن
البدع كلها سيئة ، لقوله ﷺ : « كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في
النار »^(١) .

وأما قوله ﷺ : « من سن في الإسلام سنة حسنة »^(٢) .

(١) رواه النسائي في سننه (٣/ ١٨٨-١٨٩) من حديث جابر بن عبد الله بنحوه ، ورواه
الإمام مسلم في « صحيحه » (٢/ ٥٩٢) بدون ذكر : « وكل ضلالة في النار » . من
حديث جابر بن عبد الله ، وللفادة انظر : « كتاب الباعث على إنكار البدع
والحوادث » لأبي شامة - رحمه الله تعالى - (ص ٩٣) وما بعده .

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه (٢/ ٧٠٤-٧٠٥) من حديث جرير بن عبد الله .

فالمُرَاد به: من أحيا سنة؛ لأنه ﷺ قال ذلك بمناسبة ما فعله أحد الصحابة من مَجِيئِهِ بالصدقة في أزمة من الأزِمَات، حَتَّى اقتدى به الناس وتابَعُوا في تقديم الصدقات.

وأما قول عمر رضي الله عنه: «نعمت البدعة هذه»^(١). فالمراد بذلك: البدعة اللغوية، لا البدعة الشرعية؛ لأن عمر قال ذلك بمناسبة جَمْعِهِ الناس على إمام واحد في صلاة التراويح، وصلاة التراويح جماعة قد شرعها الرسول ﷺ؛ حيث صلاها بأصحابه ليالي، ثُمَّ تَخَلَف عنهم خشية أن تُفرض عليهم^(٢).

وبقي الناس يصلونها فرادى وجماعات متفرقة، فجمعهم عمر على إمام واحد كما كان على عهد النبي ﷺ في تلك الليالي التي صلاها بهم، فأحيا عمر تلك السنة، فيكون قد أعاد شيئاً قد انقطع، فيُعتبر فعله هذا بدعة لغوية لا شرعية؛ لأن البدعة الشرعية مُحَرَمَةٌ، لا يُمكن لعمر ولا لغيره أن يفعلها، وهم يعلمون تحذير النبي ﷺ من البدع^(٣).

س: التساهل في النهي عن البدع والأخطاء أمر شائع عند الكثير من المثقفين الإسلاميين، حَتَّى إن أحدهم يَمُر والناس يطوفون بالأضرحة وبالقباب دون أن يوجه كلمة؛ لأنه مشغول ومتوجه إلى قبة البرلمان كما يقول! ما تعليقكم؟! وما هو رأيكم في مشاركة بعض النيابيين في

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢٥٢/٢) من حديث عبد الرَّحْمَنِ بن عبد القاري.

(٢) انظر: صحيح البخاري (٢٥٢/٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) للفائدة: انظر كتاب «الباعث على إنكار البدع والحوادث» لأبي شامة (ص ٩٣-٩٥).

برلمانات الحكومات التي لا تطبق الشريعة؟

ج: قال ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»^(١).

والطواف على القبور ودعاء أصحابها هو أعظم المنكر، ولا بد لكل مسلم من إنكاره حسب استطاعته؛ فإن لم ينكره بلسانه ولا بقلبه؛ فهذا دليل على عدم إيمانه.

وأما مشاركة المسلم في البرلمانات الكافرة؛ فهذه قضية تجب دراستها والإجابة عن حكمها لدى المجامع العلمية وجهات الفتوى.

س: أخذ الناس يتدعون أشياء ويستحسنونها، وذلك أخذًا بقول الرسول ﷺ: «من سن سنة حسنة في الإسلام؛ فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة..». إلى آخر الحديث؛ فهل هم مُحَقَّقون فيما يقولون؟ فإن لم يكونوا على حق؛ فما مدلول الحديث السابق ذكره؟ وهل يجوز الابتداع بأشياء مستحسنة؟ أجيئنا عن ذلك أثابكم الله.

ج: البدعة هي: ما لم يكن له دليل من الكتاب والسنة من الأشياء التي يُتَقَرَّبُ بها إلى الله.

قال -عليه الصلاة والسلام-: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو رد»^(٢).

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه (١/٦٩-٧٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه (٣/١٦٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو رد»^(١).

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «وإياكم ومُحدثات الأمور، فإن كل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(٢).

والأحاديث في النهي عن البدع والمُحدثات أحاديث كثيرة ومشهورة، وكلام أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من المُحققين كلام معلوم ومشهور، وليس هناك بدعة حسنة أبداً، بل البدع كلها ضلالة؛ كما قال النبي ﷺ: «وكل بدعة ضلالة».

فالذي يزعم أن هناك بدعة حسنة يُخالف قول الرسول ﷺ: «فإن كل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة». وهذا يقول: هناك بدعة ليست ضلالة! ولا شك أن هذا مُحاذٍ لله ولرسوله.

أما قوله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة؛ فله أجرها وأجر من عمل بها»^(٣). فهذا لا يدل على ما يقوله هؤلاء؛ لأن الرسول لم يقل: من ابتدع بدعة حسنة، وإنما قال: «من سن سنة حسنة». والسنة غير البدعة.

السنة هي: ما كان موافقاً للكتاب والسنة، موافقاً للدليل، هذا هو السنة؛ فمن عمل بالسنة التي دل عليها الكتاب والسنة؛ يكون له

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه (٣/١٣٤٣-١٣٤٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٤/١٢٦-١٢٧)، ورواه أبو داود في سننه (٤/٢٠٠)، ورواه الترمذي في سننه (٧/٣١٩-٣٢٠) كلهم من حديث العرياض بن سارية.
(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه (٣/١٣٤٣-١٣٤٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.